

ملاحظات حول المفردات المنهجية لمرحلة البكالوريوس في قسم التاريخ . كلية الآداب

أ.د. عماد الدين خليل*

السيد هيثم يونس***

د. جاسم محمد الجبوري**

المستخلص:

فإذا جئنا لمتابعة وقراءة المفردات المنهجية المعطاة في قسم التاريخ في كليتنا مقارنة بما يعطى في أقسام التاريخ في العديد من الجامعات العربية، فإننا سنجد أنفسنا - بالضرورة - أمام قاسم مشترك بين معظم هذه الأقسام، تعطى من خلاله المواد نفسها في محاولة للتغطية الزمنية للتاريخ البشري كله، مع التركيز على سياقَي التاريخ العربي الإسلامي والتاريخ المحلي والإقليمي، وكذلك إضافة جملة من الموضوعات التي تساعد المتخصص في التاريخ على أداء مهمته، فيما يعرف بالعلوم المساعدة أو الموصلة من مثل اللغة العربية، واللغة الإنكليزية، والجغرافيا، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والآثار، ومنهج البحث وتحقيق المخطوطات، وعلوم الحاسوب.. ينضم إليها في أقسام التاريخ التي تستهدف تخريج (المدرسين): علم النفس، وفلسفة التربية، وأصول التدريس.

المقدمة:

((إن الأميين في القرن الحادي والعشرين لن يكونوا أولئك الذين لا يعرفون القراءة، بل هم الذين لا يعرفون التعلم ثم نسيان ما تعلموه من جديد)). (توفلر) في كتاب (تحول السلطة).
إن أية محاولة لإعادة تصميم المفردات المنهجية لمرحلة البكالوريوس في أقسام التاريخ، بما يرفع من سويتها، ويحقق التوازنات الضرورية لهذه المفردات لن يأت بنتائج المرجوة ما لم تمض عملية التغيير والإصلاح إلى الطرفين الآخرين في العملية التعليمية وهما التدريسيون والطلاب.
ولسوف نجد أنفسنا . كما حدث ويحدث منذ أكثر من عقدين من الزمن إزاء حلقة مفرغة تدفع بأفواج الخريجين من الأميين وأنصاف المتعلمين الذين يتزايدون (كمّاً) سنة بعد أخرى دون أيّ تحسن في (النوع).. وبعضهم يمارس العمل التعليمي فلا يكاد يعطي لطلبته ثقافة حقيقية أو علماً

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

** قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

*** قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

أصيلاً.. ويتدفق هؤلاء على الجامعة وهم لا يكادون يملكون شيئاً، لكي يتلقاهم تدريسيون فقد الكثير منهم أولى شروط الأداء الجامعي المتألق.. ألا وهو الإبداع.

والمشكلة في أساسها تعود إلى جملة أسباب قادت إلى هذا الإنهيار المريع في الأداء الجامعي الذي يعترف به الجميع ولكنهم لا يكادون يفعلون شيئاً لتداركه. ولن يتسع المجال لاستعراض وتحليل هذه الأسباب في عرضي أريد له أن يتعامل مع المناهج، ولكننا نريد أن نشير إلى واحدٍ من أهمها على الإطلاق: ألا وهو التعامل الجاد مع الكتاب أو ما يسمى بالمطالعة الخارجية.

فان الاكتفاء بما تعطيه الجامعة من مقررات لن يخرج باحثاً ولا مفكراً ولا كاتباً ولا مبدعاً، حتى ولو امتدت سنوات الدراسة الجامعية عشر سنوات أو عشرين.. لن يخرج سوى متعلمين أو أنصاف مثقفين لا يملكون القدرة على العطاء والإبداع على مستويي العمل التدريسي أو البحث والكتابة.

إنها مسؤولية جادة ملقاة على عاتق الطرفين معاً: التدريسي والطالب، إذا أريد كسر الحلقة المفرغة والعودة إلى ما كانت تنتجه الجامعات حتى أواخر الربع الثالث من القرن الماضي. كان الجميع يقرأون.. التدريسيون والطلاب، وكان (الكتاب) خبزهم اليومي الذي زودهم بالكثير، وقادهم إلى التألق والإبداع.

المطالعة الخارجية بشروطها طبعاً: عشق الكتاب.. القراءة الدارسة المنتجة، وليست العابرة المستهلكة.. ثم التنوع في القراءة، فأن الجمود على فرع معرفي واحد يقود إلى التضلل رغم كل ما يقال من أن الاكتفاء بالتخصص الدقيق يفيد بالمطلوب.. انه ضروري بكل تأكيد، ولكنه لا يكفي وحده، ولا بدّ من تشكيل فضاء معرفي أو ثقافي واسع ليتحرّك الجهد التخصصي داخل دائرته المفتوحة.

ومنذ عشرين سنة أو ثلاثين لم يعد أحد يقرأ، لا التدريسيون ولا الطلبة.. أولئك يكتفون بما حصلوا عليه من معرفة جامعية، وما أنجزوه من رسائل وأطروحات، وهؤلاء يلتصقون بالمقرر الجامعي لا يكادون يفارقونه إلا قليلاً.

إن هذا البوار ينعكس حتى في الكثير من رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه، وهذه مسألة ستناقشها اللجنة المعنية بالدراسات العليا فلا مبرر للخوض فيها. والمهم أن علينا نحن التدريسيون أن نبذل جهداً مكافحاً وموصولاً من أجل العودة بالتدريسيين والطلبة معاً إلى عصر المطالعة اليومية وتقاليد عشق الكتاب وملاحقته بالجد المطلوب.

فإذا جئنا لمتابعة وقراءة المفردات المنهجية المعطاة في قسم التاريخ في كليتنا مقارنة بما يعطى في أقسام التاريخ في العديد من الجامعات العربية، فإننا سنجد أنفسنا - بالضرورة - أمام قاسم مشترك بين معظم هذه الأقسام، تعطى من خلاله المواد نفسها في محاولة للتغطية الزمنية للتاريخ البشري كله، مع التركيز على سياقي التاريخ العربي الإسلامي والتاريخ المحلي والإقليمي، وكذلك إضافة جملة من الموضوعات التي تساعد المتخصص في التاريخ على أداء مهمته، فيما يعرف بالعلوم المساعدة أو الموصلة من مثل اللغة العربية، واللغة الإنكليزية، والجغرافيا، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والآثار، ومنهج البحث وتحقيق المخطوطات، وعلوم الحاسوب.. ينضم إليها في أقسام التاريخ التي تستهدف تخريج (المدرسين): علم النفس، وفلسفة التربية، وأصول التدريس.

ولعل واحدة من أهم ما تعاني منه أقسام التاريخ في معظم الجامعات العربية، بما فيها قسم التاريخ في كلية آداب جامعة الموصل، حرصها الملحوظ على تحقيق التغطية الزمنية، فيما يُحَمَل الطالب عبء ملاحقة وقائع القرون المزدحمة المتشابكة، بدءاً من العصور الحجرية وانتهاءً بالتاريخ المعاصر، مروراً بتاريخ الأقوام السامية، فالعرب قبل الإسلام، فالسيرة النبوية، فالعصر الراشدي، فالأموي، فالعباسي، فالديوليات الإسلامية، فالعصور المتأخرة، فالعثماني، فالوطن العربي المعاصر.. وهناك في موازاة هذا الامتداد الزمني المتطاول: تاريخ اليونان والرومان والساسانيين، وأوروبا العصور الوسطى فالحديثة فالمعاصرة، فضلاً عن الأمريكيتين ودول العالم الثالث.

هذه الرحلة الحريصة على التغطية الزمنية والمكانية المتكاملة، قد تجيء على حساب قدرة الطالب على استيعاب الوقائع والأحداث، وهو حتى في حالة استيعابها زمن تلقّيها، قد لا يحتفظ بها في ذاكرته طويلاً إذ سرعان ما يتعرض معظمها للنسيان.

ليس هذا فحسب، بل أن الحرص يقود بالضرورة إلى الركض بالطلبة على سطح الوقائع التاريخية من أجل الإمساك بها جميعاً، دون منحها . إلا في حالات استثنائية . وقفة متأنية للتعامل المعمق مع هذه الظاهرة أو تلك، ومع هذا التغيير أو ذاك، فيما هو أقل تعرضاً للنسيان بكل تأكيد. هذا وأن تغطية كهذه تقود بالضرورة إلى إعطاء الأولوية للتاريخ السياسي وتضييق الخناق على التاريخ الحضاري الذي هو أكثر أهمية بكثير. وهذه مسألة سيحاول هذا التقرير أن يقف عندها قليلاً.

فمنذ أكثر من قرن مورست هذه الخطيئة في معظم المعاهد والجامعات العربية والإسلامية، فضلاً عن أنها اعتمدت منهجاً تفكيكياً تتقطع معه شخصية هذه الحضارة وتضيع ملامحها

الأساسية، وذلك باسم الضرورات الزمنية أو التخصصية أو المنهجية، حيث يدرس الطالب تاريخ العلوم أو الفكر في سنة، والنشاط الاقتصادي أو العمراني في سنة أخرى، والنظم الإدارية في سنة ثالثة.. إلى آخره.. وهكذا تصير الحضارة الإسلامية لهائاً وراء مبررات الجزية، وركضاً وراء قوائم الضرائب، ومتابعة للمحتسب وهو يتجول في الأسواق، واستعراضاً وصفاً لمنظومة الدواوين، وعرضاً للصراع على المناصب الكبرى، وتصنيفاً فجاً للعلوم ما بين نقالية وعقلية.. إلى آخره..

وبذلك يتخرج الطالب وهو لا يملك معرفة معمقة بشخصية حضارته الإسلامية ومكوّنها الأساسيين: الوحي والوجود، ونقطة ارتكازها الكبرى: التوحيد.. كما أنه لا يلمّ جيداً بعناصر تميّز هذه الحضارة، ولا الاعتزاز بها، رغم البعد التربوي للنشاط الأكاديمي. وقد يتمخض عن ذلك من نتائج معاكسة حيث يصير تدريس الحضارة الإسلامية سلاحاً نشهره ضد أنفسنا.. هذا وما يترتب على المنهج التفكيكي من فك الارتباط بين العقيدة الإسلامية وبين معطيات ومكوّنات الحضارة الإسلامية نفسها، كما أنه يقود إلى نتائج مضلّة كتلك التي قال بها (فيليب حتي) في (تاريخ العرب المطول) وعدد من الباحثين والمستشرقين، من أن الحضارة الإسلامية لا تعدو أن تكون (قطع غيار) لملت من الحضارات الأخرى اليونانية والهellenية والرومانية والبيزنطية والفارسية والهندية، ووضع عليها رداء خارجي يحمل شعار (الحضارة الإسلامية).

وتجاوزاً لذلك كله يمكن اعتماد منهج شمولي يتابع الخصائص الأساسية للحضارة الإسلامية كشخصية متميزة، ويضع اليد على شبكة التأسيسات التي صاغها كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وعصر الرسالة لتحفيز الفاعلية الحضارية، ويتابع معطيات هذه الحضارة، في سياقاتها كافة، ووظائفها الأساسية، وملامحها المتميزة عبر مراحل نموّها وتألقها، ويستقصي . بالمقابل . العوامل التي قادتها إلى التدهور وفقدان الفاعلية، والشروط التي تمكنها من الانبعاث كرهة أخرى، واحتمالات المشاركة العالمية في المصير.

ويمكن أن تخصص السنة الأولى للتأسيسات، والسنة الثانية للمعطيات والوظائف والخصائص، والسنة الثالثة لعوامل الانهيار، والسنة الرابعة لإمكانيات الانبعاث وأبعاد الجدل مع التحديات والنظريات المعاصرة من مثل النظام العالمي الجديد ذي القطبية الأحادية، والعولمة، ونظريتي (نهاية التاريخ) و (صراع الحضارات).

لنرجع إلى المقررات المنهجية لقسم التاريخ في كليتنا مقارنة بما يعطى في عدد من الجامعات العربية.

ابتداءً لا بد من الإشارة إلى أن قسم التاريخ في كليتنا عقد في صيف عام ٢٠٠٣م جملة من الجلسات لمناقشة المناهج المعتمدة في القسم، وقد شارك في هذه الجلسات عدد من أساتذة القسم وتدرسيه حيث أجريت جملة من التغييرات على هذه المناهج شملت مساحات ليست بالقليلة من مفرداتها، فيما جعلها أقرب إلى السوية المطلوبة. ومع ذلك تظل الأقسام كافة، وليس قسم التاريخ وحده، بحاجة إلى جهد كهذا يأخذ طابعاً دورياً من أجل إحكام المناهج، وتحسين الأداء، حيناً بعد حين. وستكون بعض البحوث والمرئيات المعروضة في هذا المؤتمر خطوة أخرى على الطريق.

لقد قامت اللجنة المعنية بمنهاج قسم التاريخ في كليتنا باستقصاء المواد المعطاة في أقسام التاريخ في كل من كليتي آداب وتربية جامعة الموصل، وكليتي آداب وتربية جامعة بغداد، وكلية الدراسات التاريخية في جامعة البصرة، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة دمشق، وكلية آداب جامعة بيروت العربية، وكلية آداب جامعة القاهرة، وكلية آداب جامعة الزرقاء الأهلية في الأردن.

وقد تبين . كما هو معلوم . أن المواد المعطاة في هذه الأقسام كافة، وربما في معظم أقسام التاريخ في الوطن العربي، تندرج في سياقين رئيسيين يتمثل أولهما بالمواد التاريخية الصرفة، ويتمثل ثانيهما بالعلوم المساندة أو المساعدة. هذا وأن السياق الأول ينطوي على نمطين من المواد التاريخية، نمط يمثل قاسماً مشتركاً بين الأقسام كافة، من خلال سعيه لتغطية التاريخ البشري حسب مراحل أو بيئاته، ونمط يختلف فيه قسم عن آخر، يتناول موضوعات تاريخية ذات طابع إقليمي مما يرتبط بالبلدان والأقاليم التي يمارس فيها القسم مهماته.

والسياق الثاني يختلف هو الآخر في بعض مفرداته.. وهنالك بالتأكيد . كما سنرى . قاسماً مشتركاً لعلوم مساندة تدرّس في الأقسام كافة، ولكن هناك . في الوقت نفسه . عدد من المواد المغايرة التي قد تدرّس في هذا القسم ولا تدرّس في ذاك.

فأما السياق الرئيسي في قاسمه المشترك بين الأقسام كافة، فيتمثل في المواد التالية: عصور ما قبل التاريخ، التاريخ القديم، وادي الرافدين ووادي النيل والأقوام السامية، اليونان والرومان والفرس، تاريخ العرب قبل الإسلام، عصر الرسالة، عصر الراشدين، الدولة الأموية، العصور العباسية المتقدمة، العصور العباسية المتأخرة، المغرب والأندلس، الدويلات الإسلامية (بما فيها الفاطميون والأيوبيون والمماليك)، الدولة العثمانية، تاريخ الوطن العربي المعاصر، العصور الوسطى الأوروبية،

عصر النهضة، العصور الحديثة الأوربية، أوربا المعاصرة، أمريكا، العالم الإسلامي، العالم الثالث (آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية)، الحضارة الإسلامية (الفكر والنظم الاقتصادية والمجتمع والعمران).
وأما المواد ذات الطابع الإقليمي فهذه بعض نماذجها: تاريخ العراق القديم، تاريخ الإسلام في البحر المتوسط، تاريخ الموصل والجزيرة الفراتية، انتشار الإسلام في أفريقيا، انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا، تاريخ الشرق القديم، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، تاريخ مصر الحديث والمعاصر، تاريخ بلاد الشام الحديث والمعاصر، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، تاريخ إيران وتركيا الحديث والمعاصر، الحروب الصليبية، حركات التحرر الحديثة، تاريخ مصر القديم.. إلى آخره..

فإذا جئنا إلى المواد المساندة فأنا سنجد أنها هي الأخرى تنقسم إلى نمطين، يمثل أولهما قاسماً مشتركاً بين الأقسام كافة بسبب ضرورته القصوى لدارس التاريخ، من مثل: منهج البحث والمكتبة، فلسفة التاريخ، الجغرافيا (بفروعها كافة)، اللغة العربية والنصوص الإنكليزية، الحاسبة الإلكترونية.

أما النمط الآخر فتختلف فيه كلية عن أخرى حسب توجهاتها الأساسية، وأهم مواد هذا النمط: علم النفس، علم الاجتماع، الأنثروبولوجي، علم التاريخ، حقوق الإنسان، ثقافة، طرق تدريس، الإرشاد والصحة النفسية، قياس وتقويم، تطبيقات، لغات (مختلفة)، الاقتصاد، الفكر السياسي، التربية، الفلسفة، بحث التخرج، الآثار، قضايا عالمية معاصرة، الإعلام، الأخلاق، الأدب العربي، المدينة العربية الإسلامية، الاستشراق.

وقد استطاع قسم التاريخ في كلية الآداب أن يحقق قدراً من التوازن في السياقات كافة، فأعطى المساحة الزمنية الأوسع للمواد التاريخية الصرفة التي تغطي معظم الفترات، باعتبار انتماؤه إلى كلية أكاديمية وليست مهنية أو تربوية، لكنه لم يغفل اعتماد عدد من المواد هي: منهج البحث التاريخي، وبحث التخرج، وفلسفة التاريخ، واللغة العربية، والجغرافيا العامة، والحاسبة الإلكترونية، والنصوص الإنكليزية، وحقوق الإنسان (وهذه الأخيرة تأتي في سياق مادة الثقافة المعتمدة في كليات جامعة الموصل كافة).

ويبقى هناك عدد من المواد المساندة تحمل ضرورتها البالغة في تمكين طالب التاريخ من استكمال قدراته التخصصية من مثل الأدب، وعلم الاجتماع، والفكر السياسي، والعلوم الإسلامية والاقتصاد، إلا أن ضغط الساعات تضع قسم التاريخ، والأقسام كافة، أمام محنة الاختيار، فتجد نفسها إزاء المبدأ المعروف (ما لا يدرك كله لا يترك جله). والمهم أن قسم التاريخ في كلية الآداب،

بقدر تعلق الأمر بالمواد التخصصية، وبإحالة برنامجه على برامج الأقسام التي اعتمدت في هذه الدراسة الموجزة، استطاع أن يحقق تغطية زمنية متكاملة لمعظم المراحل والبيئات التاريخية، وأن يحقق مع هذه التغطية، توازناً ملحوظاً في المساحة المعطاة للمواد التخصصية كافة.

وببقى أن هناك بعض الملاحظات والملاحظات التي خلصت إليها هذه الدراسة، يفضل أن تؤخذ بعين الجدّ من أجل تحسين الأداء في أقسام التاريخ كافة، فضلاً عن قسم التاريخ في كليتنا، من أجل تخريج طلبة يستحقون فعلاً أن يحملوا شهادة التخصص (البكالوريوس) في علم التاريخ، وفيما يلي أهم تلك الملاحظات:

١: هناك ارتباط في التسلسل الزمني للدول والعصور المعطاة للطلاب يفضل تداركه بإعادة ترتيب هذه المواد.

٢: غياب العرض المقارن والضروري بين ما كان يجري في مرحلة ما من التاريخ الإسلامي وما يزامنها من أحداث في العالم المحيط.

٣: عدم مراعاة النضج العلمي للطلاب من خلال وضع بعض المواد الصعبة في مراحل مبكرة.

٤: عدم الاهتمام بالبحث بشكل كافٍ وهذا يعني ضرورة إعطاء مادة منهج البحث في أكثر من سنة، وتعزيز ذلك بتكليف الطلاب ببحوث وتقارير على مدى السنوات الأربع، ومنح اهتمام أكبر ببحث التخرج من خلال وضع قائمة ضوابط ومعايير سواء في إنجازه أو تقدير مستواه.

٥: ضرورة البحث عن صيغ أكثر فاعلية في تمكين الطالب من اللغة الإنكليزية.

٦: إعادة النظر في المواد المساعدة، أو المساندة، لتحقيق توازن أفضل في الساعات بين المواد التخصصية والمواد المساعدة.

٧: التأكيد على الخطوط والملاح الأساسية للعصور التاريخية المعطاة للطلبة بدلاً من الاستغراق في التفاصيل التي سرعان ما تتعرض للنسيان، فالذي يبقى في الذاكرة ويعين على الوعي التاريخي هو الملمح أو مجموعة الملاح الأساسية لكل عصر من العصور.

٨: عدم تقطيع الحضارة الإسلامية وتفريق معطياتها على السنوات الدراسية، والتعامل معها . بدلاً من ذلك . كوحدة مترابطة ذات شخصية متميزة ومتنامية، تمرّ بمراحل النشوء والنمو والذبول، وتحمل إمكانيات القدرة على الانبعاث، وتخصيص كل مرحلة لسنة من سنوات الدراسة الجامعية.

٩: منح الاهتمام الجاد والمتواصل بإعادة الطلبة إلى تقاليد المطالعة الخارجية وعشق الكتاب، وتوسيع فضائهم المعرفي بالقراءات المتنوعة. ويفضل أن يقوم التدريسيون بترتيب قوائم منتقاة بالكتب الأكثر أهمية وفائدة، وإغراء الطلاب بقراءتها.

١٠: لغة التعبير في بحوث طلبة البكالوريوس، وحتى الكثيرين من طلبة الدراسات العليا، تعاني من العقم والضعف والركاكة، فضلاً عن أنها تتطوي على حشود كبيرة من الأخطاء النحوية والإملائية واللغوية، ولا بدّ من أخذ ذلك بقدر كبير من الجدية، وتحويل مادة اللغة العربية المعطاة في أقسام التاريخ إلى آلية فاعلة في تحسين أدائهم التعبيري. ولعل الفقرة السابقة الخاصة بالمطالعة الخارجية تساعد الجهد التدريسي على تحقيق المطلوب.

١١: يفضل إضافة مادة تعنى بعالم الإسلام والتحديات المعاصرة فيما يكاد يكون غائباً عن مناهج أقسام التاريخ في معظم الجامعات العربية. وقد يندرج في المادة المذكورة موضوع (الأقليات الإسلامية في العالم المعاصر)، فضلاً عن (عالم الإسلام والحضارة الغربية) و (العولمة) ونظيرتي (نهاية التاريخ) و (صراع الحضارات).

١٢: كما يفضل أن تخصص ساعات مناسبة لتاريخ الأمريكيتين الحديث والمعاصر، وكذلك الحال بالنسبة لأفريقيا وآسيا، ودول الجوار (تركيا وإيران) نظراً لأهميتها البالغة للمتخصصين في التاريخ.

١٣: وبسبب من ضالة معرفة طلبة قسم التاريخ، وانعدامها أحياناً، في العديد من العلوم الضرورية للتخصص في حقل التاريخ، وبخاصة العلوم الإسلامية والفكر السياسي، يفضل تخصيص ساعات مناسبة لمادة (الثقافة) من أجل تدارك هذا الفراغ الملحوظ لدى خريجي التاريخ.

Notes on the systematic vocabulary for the undergraduate level

In the Department of History - College of Arts

Prof. Imad Al-Din Khalil

Dr.. Jassim Muhammad Al-Jubouri ** Mr. Haitham Younis***

Abstract:

If we come to follow and read the systematic vocabulary given in the history section of our college compared to what is given in the history departments in many Arab universities, then we will necessarily find ourselves in front of a common denominator among most of these departments, through which the same materials are given in an attempt to cover the temporal of all human history With a focus on the two contexts of Arab and Islamic history and local and regional history, as well as adding a number of topics that help the history specialist perform his mission, in what is known as auxiliary or conductive sciences such as Arabic, English, geography, sociology, philosophy, archeology, and curriculum Research and realization of manuscripts and computer science .. Joined in the departments of history aimed at graduating (teachers): Psychology, the philosophy of education, and the principles of teaching.